



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

كلية المستقبل الجامعة

محاضرات في الديمقراطية

المحاضرة الثالثة

الاستفتاء الشعبي الديمقراطي

جمع واعداد وتقديم

المدرس المساعد

سجاد ثامر الخفاجي

باحث دكتوراه في القانون الجنائي

قسم التربية البدنية وعلوم الرياضة

قسم الهندسة الكيماوية والصناعات النفطية

المحاضرة الثالثة

الاستفتاء الشعبي

تعريف الاستفتاء الشعبي

يقصد بالاستفتاء الشعبي اصطلاحاً الرجوع الى الشعب لأخذ رأيه بالموافقة أو الرفض في أي موضوع عام كان يكون موضوعاً قانونياً او دستورياً او سياسياً بصفته صاحب السيادة

التطور التاريخي للاستفتاء الشعبي :

ظهر الاستفتاء الشعبي أول مرة في سويسرا خلال القرن الخامس عشر ، إذ أقرت مجالس ١٢ كانتونا آلية الاستفتاء الشعبي (الاستشارة الشعبية) للبت في القضايا المحلية والشؤون العامة، مع أن القرار النهائي يبقى لمجلس الكانتونات.

وفي القرون التالية، اتسع نطاق مفهوم الاستفتاء الشعبي ليُصبح آلية من آليات إشراك المواطن البسيط في القرارات الحاسمة، ومن أمثلة ذلك الاستفتاء على تحريم الخمر. وبحلول عام ١٩٠٤ أقرت الولايات الأميركية مساطر للاستشارة الشعبية تضمنت ستة أنواع من الاستشارات الشعبية ضمنها الاستفتاء العام المباشر.

بحلول القرن العشرين أصبح الاستفتاء الشعبي آلية مركزية من آليات الديمقراطية المباشرة، يُمكن من استشارة الناخب البسيط في إصلاحات ذات طبيعة مصيرية ولا ينعقد الإجماع عليها.

وتصدر سويسرا دول العالم من حيث ممارسة هذا التقليد الديمقراطي، فالإحصائيات تُفيد بأن أكثر من ٩٠٪ من الاستفتاءات المنظمة في العالم خلال القرن الماضي جرت في سويسرا، وتناولت مواضيع تتراوح بين التعديلات الدستورية ومراجعة شبكات الأجور في ضوء الفوارق الفاحشة بين رواتب العمال ومديري المقاولات.

مقومات نجاح الاستفتاء الشعبي⁽¹⁾

هناك عدة مقومات ينبغي توافرها لكي يكون الاستفتاء اسلوباً من أساليب تحقيق الديمقراطية إذ أن غياب تلك المقومات يصبح الاستفتاء وسيلة غير معبرة عن إرادة الشعب بل وسيلة مزيفة لهذه الإرادة . ومن ثم يصبح إجراؤه ملهامة ان لم يكن مأساة كما هو الحال في أغلب دول العالم الثالث .

وسوف يتم بيان تلك المقومات بشيء من التفصيل في إطار أربعة مطالب كالآتي :

اولاً :- وجود حرية حقيقية :

لضمان نجاح الاستفتاء ولكي يأتي معبراً عن رأي الشعب السياسي لا بد أن يكون مقترناً بكفالة الحريات الأساسية للمواطنين واحترامها ، وبشكل خاص الحرية الشخصية وحرية الرأي وحرية الاجتماعات وحرية الصحافة ووسائل الاعلام، ويجب أن يمنح الشعب بجميع فئاته من (قادة وجمهور ومتخصصين ومن أصحاب المراكز والمال) فرصة التعبير عن آرائه بحرية كاملة داخل إطار الرضا والاحترام بين هذه الفئات، فيما يتم من استفتاءات شعبية ولقد ثبت في الدول والبلاد المتقدمة أن ضمان حريات الأفراد يكفل نجاح الاستفتاء الى حد كبير وكما يقول الفقيه بارتلمي . (لا استفتاء حقيقي بدون حرية حقيقية) ، فالاستفتاء الحقيقي هو الاستفتاء الديمقراطي المعبر عن الإرادة الشعبية بشكل حقيقي والخالي من أي بصمة دكتاتورية مقيدة ومكبلة لتلك الإرادة حيث أنه يكفل الحريات العامة للمواطنين ويضمنها أما الاستفتاءات الخالية من أي كفالة أو ضمان لحريات المواطنين فهي في الواقع ليست استفتاءات صحيحة وانما استفتاءات دكتاتورية ومثالها الاستفتاءات التي تمت في عهد نابليون في فرنسا والتي تمت في عهد هتلر في المانيا فضلاً عن الاستفتاءات التي تتم في الدول الدكتاتورية .

(1) في سبيل الامانة العلمية تم الاعتماد في هذه المحاضرة على رسالة ماجستير بعنوان، الاستفتاء الشعبي وبعض تطبيقاته المعاصرة للأستاذة : ببداء عبد الجواد محمد توفيق العباسي.

ثانياً :- وجود وعي شعبي متقدم : ان نجاح الاستفتاء يبنى على نضج الشعب ورقيه من الناحية الثقافية والمدنية حيث أن ارتفاع الوعي والثقافة تعتبر القاعدة الاساسية المتينة التي يرتكز عليها نظام الاستفتاء الشعبي.

فبذلك المستوى من الوعي والثقافة المتقدمة تتحقق المساهمة الفعالة والجدية للشعب بتلك الاستفتاءات ومن ثم تأتي ديمقراطية وشرعية ومعبرة عن إرادة شعوبها الحقيقية ومجسدة لاهتمام تلك الشعوب بالمسائل العامة قدر اهتمامها بمسائلها الخاصة .

ثالثاً :- حسن اختيار موضوع الاستفتاء : ان نجاح الاستفتاء وسلامته يتوقف على حسن اختيار موضوعه ، حيث أن الموضوعات التي ينصب عليها الاستفتاء يصعب الاجابة عنها إجابة مباشرة دون الإحاطة المسبقة بمضمونها ومقاصدها خاصة في مجتمع تنتشر فيه الأمية فيجب أن لا يستفتى الشعب في المسائل غير المفهومة من قبله والتي يحتاج البت فيها الى رأي المتخصصين وخبرتهم إذ أن ما يصلح لأن يكون موضوعاً للاستفتاء في بلد ما لا يكون كذلك في البلد الآخر طبقاً لدرجة وعي الشعب في ذلك البلد

رابعاً : نزاهة عملية الاستفتاء :

لكي ينجح نظام الاستفتاء الشعبي لابد من اتخاذ جميع الاجراءات التي تضمن للمواطنين الاطمئنان على نتائج الاقتراع وقبولها وهذا يتأتى عن طريق ضمان نزاهة الاستفتاء بجميع مراحلها وهي مرحلة الدعاية ومرحلة التصويت و مرحلة الاحصاء و مرحلة الرقابة .

انواع الاستفتاء الشعبي

يوجد العديد من انواع الاستفتاء لكن سنورد لكم اهمها

- ١- الاستفتاء الدستوري (Referendum Constitutionnel) : يقصد به اخذ رأي الشعب بإصدار الدستور وكذلك بإجراء أي تعديل عليه ويعد استفتاء دستور العراق لسنة ٢٠٠٥ نموذجاً .
- ٢- الاستفتاء التشريعي (Le Referendum Legislatif) : يقصد به أخذ رأي الشعب بقانون او مشروع قانون ما ، سواء كان قانوناً عادياً ام تنظيمياً يتعلق بتنظيم السلطات العامة ، ليدلي الشعب رأيه بالموافقة او الرفض .
- ٣- الاستفتاء السياسي : يعرف الاستفتاء السياسي بأنه استطلاع رأي الشعب بشأن تولي شخص معين لمنصب سياسي معين كانتخابه رئيساً للدولة او ان يبدي الشعب رأيه في السياسة التي ينوي رجل السياسة هذا اتباعها .

وله عدة صور

- أ- الاستفتاء على اختيار نظام الحكم .
- ب- استفتاء الانضمام الى المعاهدات الدولية .
- ت- استفتاء زيادة النفقات العامة .
- ث- استفتاء التحكيم الشعبي .
- ج- استفتاء تقرير المصير .

مزايا وعيوب الاستفتاء الشعبي

اولاً: مزايا الاستفتاء :

١. اشتراك الشعب اشتراكاً مباشراً في اعباء الحكم .
٢. : تحقيق اعلى قدر من الرقابة الشعبية على ممثلي الشعب .

- ٣ . : تحقيق الاستقرار السياسي .
- ٤ . : الاستفادة من الكفاءات الموجودة خارج البرلمان .
- ٥ . : الوقاية من التدمير والثورة ومن ثم تحقيق التهدئة والسلام داخل البلاد .
- ٦ . : تحييد الاحزاب السياسية

ثانياً : عيوب الاستفتاء :

- ١ . : صعوبة الحكم على موضوعات الاستفتاء نظراً لانعدام الكفاءة اللازمة لدى اغلبية الشعب المستفتي .
- ٢ . : زيادة أعباء المواطنين .
- ٣ . : عدم اتاحة الوقت الكافي لدراسة مواضيع الاستفتاء .
- ٤ . : ارتفاع نسبة المتغيين عن الاقتراع على الاستفتاء .
- ٥ . : النيل من هيبه البرلمانات .
- ٦ . : صورية مشاركة الشعب نظراً لتزييف عملية الاستفتاء .
- ٧ . : زيادة الاعباء المالية للدولة .